أولا : مدخل التدريس القائم على تحقيق التكامل

التكامل فكرة قديمة تضرب بجذورها إلى العصر اليونانى حيث الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو وسقراط الذين كانوا يتميزون بالشمول فى النظرة للأمور ، وبالتكامل فى المعرفة ، كذلك فإن المستعرض لتاريخ الأزهر الشريف والمطالع لتراث علمائه الأجلاء سوف يلمح فكرة التكامل فى مصنفاتهم العلمية وفى دروسهم الدينية والعربية ، فكان العالم منهم موسوعة علمية فى كافة المجالات الدينية وغيرها ، فالفقيه فى تناوله للأحكام الفقهيه يتحدث فى العقيدة ، وفى تفسير الآيات القرآنية ، وشرح الأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع حديثه ، ويزين كلامه بالأشعار والحكم والأمثال والتحدث فى أمور لغوية ، ويذكر التاريخ أن كثيرًا من علماء الأزهر الشريف من المتخصصين فى العلوم الدينية من برعوا فى الكيمياء والطبيعة وعلم الأحياء والرياضيات وعلم الجغرافيا ..، واستطاعوا بقدرتهم الفائقة مزج بعض هذه العلوم بالعلوم الدينية .

أما التكامل باعتباره منهجًا دراسيًا أو مدخلاً علميًا له أسسه ومداخله ونظرياته التى يستند إليها ، فإنه يعد من أحدث التنظيمات المنهجية ، وقد تم استخدام هذا التنظيم فى بعض المجالات الدراسية فى البلاد العربية كالمواد الاجتماعية والعلوم الطبيعية . . . لكنه بالنسبة للتربية الدينية الإسلامية لم يلق العناية الكاملة حيث لم توجد فى المجال سوى محاولات فردية لقلة من الباحثين حاولوا فى دراساتهم تجميع أجزاء التربية الدينية الإسلامية فى وحدات متكاملة بحيث يظهر فيها تعانق القرآن الكريم مع الحديث الشريف والسيرة... وقد نتج هذا التنظيم المنهجى لأمور منها :

١- الرغبة فى بناء إنسان متكامل :

تهدف المدرسة من وراء العملية التعليمية إلى بناء إنسان متكامل الشخصية ، متكامل فى الجوانب المعرفية والوجدانية والمهارية ، ومن هنا بدت الحاجة ملحة إلى تبنى مدخلا يحقق هذا الهدف ، ويقدم المعرفة للتلاميذ بصورة متكاملة ويوضح العلاقات والروابط بين جوانبها المختلفة حتى يمكن التأثير على شخصية التلاميذ من جوانبها المختلفة ، فكان مدخل التكامل الذى يهدف إلى تمكين التلميذ من المحافظة على تكامل شخصيته والنمو المتكامل ، وذلك من خلال ما يقدمه له من معارف متكاملة وخبرات تربوية متنوعة ، وما يسكبه له من مهارات متعددة تعمل على تنمية جوانب شخصيته العقلية والجسمية والانفعالية والاجتماعية فيسهل عليه التكيف مع بيئته ، وهذا يعنى أن التكامل ليس معناه دراسة موضوعات أو مشكلات معينة بطريقة متكاملة ، إنما يعنى أن يشعر به التلميذ ويشمل كيانه كله ، وتتأثر به شخصيته ، ويبدو واضحًا فى سلوكه .

٢- تفتيت المعرفة العلمية :

يأتى الاهتمام بالتكامل ـ أيضا ـ للتغلب على المآخذ التى اتصف بها منهج المواد الدراسية ، حيث تقوم مناهجه على أساس من تجزئة المعرفة وتفتيتها ، فالمنهج فى ظلها يقدم للتلاميذ فى صورة مفككة ، على أيدى مدرسين مختلفين ، وفى حصص مختلفة ، . . وهذا يؤدى إلى ضعف واضح فى البناء المعرفى للمتعلم حيث لا تتضح لديه صورة العلوم الإنسانية ولا علاقات بعضها مع البعض ، ونحن نعرف أن العقل البشرى دائما عندما يتعرض لدراسة موضوع ما يميل إلى استكماله واستيفاء معرفته من جميع الجوانب ، ولن يتأتى هذا إلا بتقديم الموضوع فى صورة متكاملة ، لذا فيمكننا أن نقول إن ظهور التكامل هو نوع من التغلب على الأخطاء فى منهج مواد الدراسة المنفصلة .

٣- أن الربط والتكامل فى عرض الحقائق العلمية ـ خاصة الحقائق الدينية ـ كان أسلوب القدماء فى التأليف والتدريس .

ومن ثَمَّ ظهرت اتجاهات حديثة تطلب من الدارسين المتخصصين ضرورة توسيع قاعدة معرفتهم بدراسة مجالات أخرى غير مجال تخصصهم وإن كانت مرتبطة به ، ودراسات أخرى تطالب بضرورة تكامل المعرفة خاصة فى مناهج المراحل الأولى من التعليم . وإذا كان تفريع المادة العلمية وظهور التخصص الدقيق ضرورة اقتضتها طبيعة العصر الذى نعيشه نظراً للتزايد المستمر فى حجم المعرفة العلمية الذى جعل المتعلم يقف أمامها عاجزاً من أن يلم بأطرفها ، فإن هذا التفريع وهذا التخصص لم يفد التلميذ المبتدئ ، وتؤكد هذا نتائج الدراسات السابقة كدراسة «عبدالصمد ، ١٩٨٥م»[١] «ودراسة حمروش ١٩٨٩م»[٢] حيث أشارت نتائج دراستيهما إلى أن مزايا المنهج المتكامل فى تعليم الدين الإسلامى ـ خاصة بالنسبة لصغار السن ـ تفوق المزايا التى تنسب إلى منهج المواد الدراسية المنفصلة ، وأن الوحدة قالب مناسب للتكامل فى تعليم الدين الإسلامى .

تعريف المنهج المتكامل :

المنهج المتكامل هو المنهج الذى لا توجد فيه حواجز بين المواد الدراسية القريبة من بعضها البعض ، مثل الجغرافيا والتاريخ والتربية القومية والاقتصاد . . . ، أو هو المنهج الذى لا توجد فيه فواصل بين الفروع المكونة

---

(١) عبد المنعم إبراهيم عبد الصمد : «أسس تكامل محتوى تعليم الدين فى الصفوف الثلاثة الأخيرة من الحلقة الابتدائية» ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٥م .

(٢) عبد المجيد سليمان حمروش : «بناء برنامج متكامل فى التربية الدينية الإسلامية لطلاب المرحلة الإعدادية وأثره على التحصيل والاتجاه» ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية جامعة الأزهر ، ١٩٨٩م .

لمادة دراسية واحدة ، مثل الفروع المكونة لمادة التربية الدينية الإسلامية - القرآن ، والحديث ، والعقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والسيرة ، والتهذيب ، والبحوث .

التكامل فى التربية الدينية الإسلامية :

التكامل فى التربية الدينية الإسلامية كما هو واضح من التعريف السابق يعنى إيجاد نوع من الوحدة والترابط بين مجموعة من الحقائق المتناثرة وتجميعها حول موضوع واحد كبير ، ويتم ذلك أولا بتحديد الموضوع الكبير ، ثم تجميع المعلومات التى تبعثرت فى فروع متعددة حوله»[1] ، ومن ثَمَّ فهو يقوم على تآزر المعارف المختلفة وتكاملها نحو محور معين بحيث نصل إلى التنمية الشاملة لدى الفرد المتعلم وبذلك تبدو الصلة العضوية بين الجوانب المختلفة للمادة الواحدة ، فمثلا فى موضوع كالصلاة يمكن أن نقدمه للتلاميذ فى مادة الفقه مقترنا بدراسة وتفسير الآيات القرآنية التى تعرضت لها ، مع شرح الأحاديث النبوية التى تتصل بها ، مع بيان ما تؤدى إليه الصلاة من قيم وتهذيب لسلوك الفرد ، ويتم ذلك فى فرع واحد .

وقد يمتد التكامل فى التربية الإسلامية لأبعد من هذا ، لأن التربية الدينية الإسلامية ترتبط بحياة الفرد المسلم ، ولها علاقة بمشكلاته ومشكلات مجتمعه فى المجالات الطبية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومجال التغذية . . ، ومن ثَمَّ يمكن أن نكامل بين التربية الدينية الإسلامية وبين المعارف فى المجالات الأخرى حتى تتيح الفرصة للطالب تصور الموضوع بكافة جوانبه ، ففى موضوع كالمخدرات - مثلا - يمكن أن نعالجه من عدة جوانب تتمثل فى رأى الدين الإسلامى فى تعاطى المخدرات ، ونصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الدالة على حرمتها ، وفى رأى العلم من حيث الآثار المترتبة

---

(١) إبراهيم محمد الشافعى : التربية الإسلامية وطرق تدريسها ص ٨٥ ، الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٩٨٤م .

عليها صحيًا، وفى رأى الاقتصاد من حيث آثارها على الفرد والمجتمع والدين، ومن حيث آثارها على الجانب الأخلاقى والاجتماعى من حياة مدمن المخدرات، فمن كل هذه الجوانب مجتمعة نكون وحدة دراسية فى التربية الدينية الإسلامية.

مما سبق يمكن أن نقول إن التكامل فى التربية الدينية الإسلامية يعنى أن تدور الدراسة فيها حول موضوعات أو مشكلات يتم تناولها من جوانب مختلفة، ويستدل عليها بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة النبى ﷺ وسيرة صحابته، وبما ورد من أقوال الفقهاء..

وجدير بالذكر أن هذا المدخل بهذه الصورة يتمشى مع طبيعة التربية الدينية الإسلامية المتكاملة التى أشرنا إليها فى الفصل السابق، وهو بهذه الصورة ـ أيضًا ـ يوحد فكرة التلاميذ عن الدين الإسلامى وعن كيفية معالجته للموضوعات والمشكلات بصورة متكاملة، وهو بهذا ـ كذلك ـ يحقق النمو المتكامل للفرد فى جميع النواحى ـ الفكرية، والوجدانية، والأدائية ـ.

كيفية تنفيذ التكامل فى التربية الإسلامية :

بالرغم من أن هذا المدخل لم يأخذ طريقه بعد فى مدارسنا، إلا أنه يمكن لمعلم التربية الدينية الإسلامية استخدامه فى تدريس هذه المادة من خلال اتباع الإجراءات التالية :

١- تحديد الأهداف العامة، ومن أمثلة ذلك «أن يعرف الطلاب القضايا المعاصرة المتعلقة بالعبادات».

٢- ترجمة الأهداف العامة إلى أهداف خاصة، ومن أمثلة ذلك[1] :

- أن يذكر التلميذ تعريف الزكاة.

---

(١) محمود عبده أحمد فرج : «تطوير محتوى الفقه لطلاب المرحلة الثانوية الأزهرية».

- أن يذكر التلميذ تعريف الضرائب .
- أن يميز التلميذ الفرق بين الزكاة والضرائب .
- أن يوضح التلميذ حكم خصم الضرائب من الوعاء الخاضع للزكاة ـ رأس المال الخاضع للزكاة ـ .
- أن يطبق التلميذ ما درسه من أحكام الزكاة والضرائب على المسائل الحياتية .
- أن يوضح التلميذ حكم الزكاة فى المعاملات المعاصرة .
- أن يحدد التلميذ نصاب الزكاة فى العملات المعاصرة .
- أن يقدر التلميذ أثر الزكاة فى تقوية الروابط بين المسلمين وإدخال السرور على المحتاجين منهم .
- أن يتمكن التلميذ من إجراء العمليات الحسابية المتعلقة بإخراج الزكاة .

٣- تحليل محتوى فروع التربية الدينية الإسلامية ومحتوى بعض المجالات العلمية الأخرى المرتبطة بالأهداف العامة والخاصة بقصد تجميع المعلومات التى تبعثرت فى هذه الفروع ، والتى تدخل فى نطاق موضوع الوحدة أو المشكلة المراد دراستها ، وفى دراسة أجراها «محمد حنفى ١٩٨٨م»[(١)] استهدفت بناء مقرر مقترح فى الرياضيات لطلاب القسم الأدبى بالمعاهد الثانوية الأزهرية ، قام الباحث بتحليل بعض محتويات المواد الدراسية التى تحتاج إلى متطلبات رياضية ، وكان من هذه المحتويات محتوى الميراث المتعلق بمادة الفقه الإسلامى ، وبعد عملية التحليل أوضح الباحث المتطلبات الرياضية التى يحتاجها الميراث ومنها : مفهوم العدد النسبى ، العمليات على الأعداد النسبية ـ جمع ، طرح ، وضرب ، وقسمة ، المضاعف المشترك البسيط ، علاقات الترتيب على الأعداد النسبية ، بالإضافة إلى التقسيم التناسبى .

---

(١) محمد عبد المجيد حنفى : «بناء مقرر فى الرياضيات لطلاب القسم الأدبى بالمعاهد الثانوية الأزهرية»، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية جامعة الأزهر ، ١٩٨٨م.

٤- إحداث مسارات للتكامل أو عمل خرائط انسياب :

ويتم ذلك من خلال :

- تحليل العمل الذى نود أن يتعلمه الفرد سلوكيا ، ومن التحليل نحدد الأعمال المتطلبة لتعلمه .
- تكوين هرم تعليمى من المتطلبات الأولية للعمل .

٥- بناء المحتوى :

ويتم ذلك من خلال مزج المعارف التى تم جمعها من فروع متعددة ومن مجالات شتى والتى تدور حول موضوع واحد أو مشكلة واحدة ، ومن أمثلة ذلك ما قدمه «محمد حنفى ١٩٨٨م» فى دراسته حول موضوع «العدد النسبى» ، فقد كان من بين الأهداف التى ترجمها إلى محتوى ، الهدف التالى :

- أن يتعرف التلميذ على العدد النسبى .

وقد جاء المحتوى وطريقة تقديمه كما يلى : قال تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (النساء:١١) . ورد فى الآية الكريمة ذكر ألفاظ : النصف ، الثلثان ، السدس ، وقد عبر عن هذه الألفاظ برموز رياضية .

النصف = الثلثان = السدس =

ثم يطرح الأسئلة التالية ليتضح التكامل من خلالها :

- ما الاسم الذى يمكن أن نطلقه على هذا القسم من الأعداد ؟
- فهل تسمى كسورا اعتيادية أو أعدادا نسبية ؟

إذًا : ما العدد النسبى؟

- العدد النسبى هو عدد له بسط ومقام ..... إلخ .

٦- تدريس المحتوى :

أى اختيار طريقة التدريس المناسبة للمحتوى ، فالمستخدم لمدخل التكامل لابد أن يأخذ فى اعتباره تكامل كل من المحتوى والطريقة حتى يتحقق التكامل بالصورة المرجوة ، وتجد الإشارة إلى أنه لا توجد طريقة واحدة مناسبة لتدريس موضوعات التربية الدينية الإسلامية ، وإنما تتعدد طرق التدريس وتتنوع حسب اتجاهات المتعلمين ، وطبيعة الفرد المتعلم ، والأهداف التعليمية المطلوب تحقيقها .

٧- تقويم المحتوى :

إن عملية تقويم المحتوى عملية تشخيصية علاجية تهدف إلى إصدار حكم على مدى ما تحقق من الأهداف التربوية المنشودة ، ولما كانت أهداف التربية الدينية الإسلامية تتضمن المجالات الثلاثة ـ المعرفية والوجدانية والمهارية ـ لذلك فإن وسائل تقويم الوحدات المتكاملة تختلف باختلاف هذه الأهداف ، فالاختبارات بجميع أنواعها قد تكون من أنسب الوسائل لقياس الجانب المعرفى فى المحتوى ، وتستخدم مقاييس الاتجاهات والقيم لقياس الجانب الوجدانى ، كما يمكن أن تستخدم اختبارات الأداء العملى لقياس الجانب المهارى .

ومن أمثلة أسئلة الاختبارات الموضوعية ـ «الاختيار من متعدد ـ والتى ارتبطت بالأهداف التى عرضناها من قبل ما يلى :

١- الزكاة فى الشرع تعنى حق واجب فى مال مخصوص لطائفة مخصوصة فى وقت مخصوص :

أ- العبارة صواب .